

القواعد اللغوية التي استعملها مفسرو
الحنابلة في تعاملهم مع آيات الصفات
«The Linguistic Rules Applied by Hanbali
Exegetes in Interpreting the Verses of
Divine Attributes»

إعداد

د. مصطفى حمدو عليان
Mustafa Hamdo Elia

مدرس الفقه الحنبلي وأصوله في جامعة مينيسوتا الإسلامية
أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن في جامعة العلوم
الإسلامية / سابقا

هاتف: 00962796449365

إيميل: mshm_83@hotmail.com





ملخص:

كل مذهب يسير على قواعد لغوية في التعامل مع النصوص، وقد أحببت أن أجمع القواعد اللغوية التي استعملها مفسرو الحنابلة في تعاملهم مع آيات الصفات. واخترت لذلك خمسة تفاسير رئيسة من تفاسير الحنابلة المشهورة هي: معاني القرآن للزجاج، وزاد المسير لابن الجوزي، ورموز الكنوز للرسعني، واللباب لابن عادل، وفتح الرحمن للعلمي. بالإضافة إلى تفسير ابن القيم والإشارات الإلهية للطوفي.

وقد رجعت أيضا إلى كتب أصول الفقه وقواعد التفسير وعلوم اللغة لاستخراج القواعد التي سار عليها مفسرو الحنابلة، ووجدت أن هذه القواعد تقسم إلى قسمين:

القسم الأول: قواعد لغوية منصوص عليها، القسم الثاني: قواعد لغوية مستنبطة من تفاسيرهم.

وقد اعتمد الباحث في بحثه على المنهجية الاستقرائية والمنهجية التحليلية. ووجدت في الختام أن مفسري المذهب الحنبلي لا يختلفون كثيرا عن مفسري المذاهب السنية الأخرى في تعاملهم مع آيات الصفات.

الكلمات المفتاحية: قواعد لغوية، حنابلة، تأويل، آيات الصفات.

Abstract:

Every school of thought (madhhab) follows specific linguistic rules when engaging with texts. This study aims to compile the linguistic rules employed by Hanbali exegetes (mufasssirun) in their treatment of the verses of Divine Attributes (Ayat al-Sifat). For this purpose, five major and renowned Hanbali commentaries (tafasir) were selected: Maʿani al-Qurʿan by al-Zajjaj, Zad al-Masir by Ibn al-Jawzi, Rumuz al-Kunuz by al-Rasʿani, Al-Lubab by Ibn ʿAdil, and Fath al-Rahman by al-ʿUlaymi. Additionally, the commentary of Ibn al-Qayyim and Al-Isharat al-Ilahiyyah by al-Tufi were examined.

To extract the rules followed by Hanbali exegetes, the study also consulted reference works on the principles of Islamic jurisprudence (Usul al-Fiqh), rules of exegesis (Qawaʿid al-Tafsir), and linguistic sciences. The findings reveal that these rules are divided into two categories: codified (mansus ʿalayha) linguistic rules, and inferred (mustanbatah) linguistic rules extracted from their commentaries.

Employing both inductive and analytical methodologies, the study concludes that Hanbali exegetes do not significantly differ from those of other Sunni schools of thought in their approach to the verses of Divine Attributes.

Keywords: Linguistic rules, Hanbalis, Interpretation (Taʿwil), Verses of Divine Attributes (Ayat al-Sifat).



مقدمة

بسم الله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن لكل مذهب منهجية عامة يسير عليها علماءؤه في الشرح والتفسير والفهم والاستنباط في أبواب العلم المتنوعة كالعقيدة والعبادات والمعاملات وغيرها. ولا بد لمعرفة هذه المنهجية من جمع القواعد والكليات.

وقد أحببت أن أجمع القواعد اللغوية التي استعملها مفسرو الحنابلة في تعاملهم مع آيات الصفات. واخترت لذلك خمسة تفاسير من تفاسير الحنابلة المشهورة هي: معاني القرآن للزجاج، وزاد المسير لابن الجوزي، ورموز الكنوز للرسعني، و اللباب لابن عادل، وفتح الرحمن للعلمي.

وقد رجعت أيضا إلى كتب أصول الفقه وقواعد التفسير وعلوم اللغة لاستخراج القواعد التي سار عليها مفسرو الحنابلة، ووجدت أنها تقسم إلى قسمين:

القسم الأول: قواعد لغوية منصوص عليها مثل: كثرة الاستعمال ترجح الحقيقة أو المجاز.

القسم الثاني: قواعد لغوية مستنبطة من تفاسيرهم مثل: قرائن السياق تساعد في تحديد المعنى.

أهداف الدراسة:

1. جمع القواعد اللغوية التي نص عليها مفسرو الحنابلة في تعاملهم مع آيات الصفات.
2. استنباط القواعد اللغوية التي أخذ بها مفسرو الحنابلة في تعاملهم مع آيات الصفات.

مشكلة الدراسة:

1. وجود إشكال في معرفة المنهجية العامة لمفسري الحنابلة في تعاملهم مع آيات الصفات.
2. عدم وجود دراسات سابقة تجمع القواعد اللغوية التي استعملها مفسرو الحنابلة في تعاملهم مع آيات الصفات.

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة تختص بجمع القواعد اللغوية التي استعملها الحنابلة في تفسير آيات الصفات.

منهجية البحث:

اعتمدت في بحثي على:

1. المنهجية الاستقرائية: حيث جمعت القواعد اللغوية التي اعتمد عليها مفسرو الحنابلة في باب الصفات.
2. المنهجية التحليلية: حيث قمت بدراسة هذه القواعد واستخلاص فائدتها في كيفية التعامل مع آيات الصفات.

خطة البحث:

جعلت دراستي هذه في مقدمة ومبحثين على هذا النحو:
المقدمة: ذكرت فيها أهداف الدراسة ومشكلتها ومنهجيتها وخطة البحث.

المبحث الأول: في التعريف بتفاسير الحنابلة التي شملتها الدراسة.
المبحث الثاني: في القواعد اللغوية المنصوص عليها والمستنبطة في تفاسير الحنابلة، وفيه مطلبان، هما:

المطلب الأول: القواعد اللغوية المنصوص عليها، وهي تسع قواعد.
المطلب الثاني: القواعد اللغوية المستنبطة من كلامهم، وهي ثمان قواعد.

الخاتمة: ذكرت فيها أبرز النتائج والتوصيات.



المبحث الأول:

التعريف بتفاسير الحنابلة التي شملتها الدراسة

تفاسير الحنابلة التي شملتها الدراسة هي:

1. معاني القرآن وإعرابه:

مؤلفه هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، البغدادي، نحوي زمانه. ولد في بغداد سنة ٢٤١هـ ونشأ فيها توفي سنة إحدى عشرة وثلاث مائة. من مشايخه: المبرد، وثعلب. ومن تلامذته: أبو علي الفارسي. كان حنبلياً وآخر ما سمع منه هو: «اللهم احشرنني على مذهب أحمد بن حنبل»¹.

وكتابه معاني القرآن من مصادر المفسرين الأصيلة، وقد روى أكثره من تفسير الإمام أحمد كما قال فيه: «وجميع ما ذكرناه في هذه القصة مما رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه، وكذلك أكثر ما رويت في هذا الكتاب من التفسير. فهو من كتاب التفسير عن أحمد بن حنبل»² وذكر أن عبد الله بن أحمد أجاز له رواية التفسير عن أبيه³.

2. زاد المسير في علم التفسير:

مؤلفه هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي المتوفى (٥٩٧هـ)، كان علماً في التفسير، رأساً في التذكير، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهاً، ويسهب، ويعجب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه، والواقع في النفوس، وحسن السيرة⁴. يعد تفسيره هذا اختصاراً من كتاب آخر له، أسماه «المغني في التفسير»⁵.

وقد دفعه إلى تأليف هذا الكتاب ما ذكره هو عن نفسه في المقدمة

1- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج 1، ص 52.

2- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج 4، ص 166.

3- انظر: معاني القرآن، الزجاج، ج 4، ص 8.

4- انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 21، ص 367.

5- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج 4، ص 511.

قائلاً: «لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ أَشْرَفَ الْعُلُومَ، كَانَ الْفَهْمُ لِمَعَانِيهِ أَوْفَى الْفَهْمِ، لِأَنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ، وَإِنِّي نَظَرْتُ فِي جُمْلَةٍ مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ، فَوَجَدْتُهَا بَيْنَ كَبِيرٍ قَدْ يُنْسُ الْحَافِظُ مِنْهُ، وَصَغِيرٍ لَا يَسْتَفَادُ كُلَّ الْمَقْصُودِ مِنْهُ، وَالْمَتَوَسِّطُ مِنْهَا قَلِيلُ الْفَوَائِدِ، عَدِيمُ التَّرْتِيبِ، وَرَبَّمَا أَهْمَلُ فِيهِ الْمَشْكَلَ، وَشَرَحَ غَيْرَ الْغَرِيبِ، فَأَتَيْتُكَ بِهَذَا الْمَخْتَصَرِ الْيَسِيرِ، مَنْطُويَا عَلَى الْعِلْمِ الْغَزِيرِ، وَوَسَمْتُهُ بِـ «زَادِ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ»⁶.

3. رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز

مؤلفه هو الإمام العلامة الحافظ المفسر، عز الدين أبو محمد عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف، الرسعني. مولده في سنة تسع وثمانين وخمس مائة. توفي سنة إحدى وستين وست مائة. ولي مشيخة الحديث بالموصل، وكان من العلماء العاملين، وكان عارفاً بمذهب أحمد، حفظ «المقنع»، وتفقه بمؤلفه ابن قدامة، وصنف تفسيراً حسناً في أربع مجلدات ضخمة، سماه: «رموز الكنوز»⁷. وعده ابن بدران أجلاً تفاسير الحنابلة وأنفعها قال: «وأجلُّ هذه التفاسير كلها وأنفعها تفسير الإمام عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء الرسعني، الفقيه المحدث الحنبلي» إلى أن قال: «وتفسيره» رموز الكنوز «وهو في أربع مجلدات، وفيه فوائد حسنة، ويروي فيه أحاديث بإسناده، ويذكر الفروع الفقهية، مبيناً خلاف الأئمة فيها، وله مناقشات مع الزمخشري، ولقد اطلعت عليه، وارتويت من مورده العذب الزلال»⁸.

وقد تتلمذ الرسعني على كبار الحنابلة في عصره كابن قدامة والفخر ابن تيمية وأبي البقاء العكبري وقاضي القضاة نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي، وأستاذ دار الخلافة محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، ولذلك فهو ممن يمثل المدرسة الحنبلية بقوة.

6- زاد المسير، ابن الجوزي، ج 1، ص 11

7- انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 29، ص 51.

8- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ابن بدران، ص 477.



4. اللباب في علوم الكتاب

مؤلفه هو أبو حفص عمر بن علي الدمشقي ابن عادل، الحنبلي النعماني، فقيه، مفسر. لا توجد له ترجمة وافية. توفي سنة ٨٨٠ هـ. من تصانيفه: اللباب في علوم الكتاب في تفسير القرآن فرغ من تأليفه في رمضان سنة ٨٧٩ هـ.⁹

أما تفسيره فقدّم له المؤلف بكلمات قليلة فقال: «... وبعد فهذا كتاب جمعته من أقوال العلماء في علوم القرآن وسقّيته «اللباب في علوم الكتاب»¹⁰. ولم يزد على ذلك شيئاً. وهذا الكتاب موسوعة جامعة لتفسير القرآن الكريم ومباحث متنوعة في علوم العقيدة والفقه والعقيدة. وكان يكثر النقل عن الفخر الرازي ويسميه ابن الخطيب.

5. فتح الرحمن في تفسير القرآن

مؤلفه هو أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي مجير الدين المقدسي. المؤرخ المفسر الفقيه المحدث الأثري القاضي. ولد سنة ٨٦٠ هـ بالقدس الشريف وتوفي فيها سنة ٩٢٨ هـ. وولي قضاء القدس، والرملة، والخليل، ونابلس مدة إحدى وثلاثين سنة، لم يتخلل له منها عزل¹¹.

وضّح المؤلف منهجه في تفسيره فقال: «هذا كتاب لخصته مختصراً، وهذبت لفظه محرراً، يتضمن نبذة من تفسير القرآن العظيم، وتأويل ما فيه من الآيات والذكر الحكيم، اعتمدت في نقله على كتب أئمة الإسلام، وانتقيته من فوائد العلماء الأعلام»¹². ثم قال: «وإن كان في الآية الشريفة حكم متفق عليه، أو مختلف فيه بين الأئمة الأربعة، ذكرته ملخصاً»¹³.

9- معجم المؤلفين، كحالة، ج 7، ص 300.

10- اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج 1، ص 79.

11- انظر: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، ابن حميد، ج 2، ص 516 - 517.

12- فتح الرحمن في تفسير القرآن، العليمي، ج 1، ص 3.

13- المرجع نفسه، ج 1، ص 5.

وقد رجعت أيضا إلى تفاسير أخرى للحنابلة ولكنها تفاسير غير كاملة هي :

1- التفسير القيم: مؤلفه هو شمس الدين مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ الدمشقي الفقيه الأصولي، المفسر، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قِيمَ الجوزية. ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة. وتفقه في المذهب الحنبلي، وبرع وأفتى، ولزم الشيخ تقي الدين بن تيمية وأخذ عنه. وَكَانَ عارفا بالتفسير لا يجارى فيه، وأصول الدين. والحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، وبالفقه وأصوله وبالعبادة، وكان عالما بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم، ودقائقهم. توفي رحمه الله سنة إحدى وخمسين وسبعمائة¹⁴.

أما تفسيره المسمى: «التفسير القيم» فهو من جمع المحقق محمد أويس الندوي بإشارة السيد سليمان الندوي، وقد طبعه سنة ١٩٤٩ م في مصر مطبعة السنة المحمدية. لذلك فليس هو تفسيرا كاملا للقرآن ولكن فوائد اقتنصها المحقق من كتب ابن القيم تركز معظمها حول العقيدة وأمراض القلوب وتركيتها وفيها فوائد لغوية وفقهية.

2- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية: مؤلفه هو نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي. الفقيه الأصولي، حفظ مختصر الخرقى و اللمع في النحو لابن جني، ثم رحل إلى بغداد فحفظ المحرر وبحثه على الشيخ تقي الدين الزيراني وقرأ الأصول على الفارقي والعربية والتصريف على محمد بن الحسين الموصلي، ولقى الشيخ تقي الدين ابن تيمية والمزي وقرأ على ابن أبي الفتح بعض ألفية ابن مالك ثم سافر إلى مصر فسمع بها من القاضي سعد الدين الحارثي وقرأ على أبي حيان مختصره لكتاب سيبويه. وصنف تصانيف كثيرة.

مات في بلد الخليل عليه السلام بعد رجوعه من الحج في رجب سنة ست عشرة وسبعمائة¹⁵.

14- انظر: الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب،

15- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ابن مفلح، ج1، ص 426.



وكتابه هذا موضوع لاستخراج مسائل الأصول من إشارات التنزيل، وقد قام باستقراء القرآن من أوله إلى آخره، لتقرير المطالب الأصولية، وهي ضربان: أصول دين، وأصول فقه.

فأصول الدين: علم يبحث فيه عن أحكام العقائد صحة وفسادا، ومتعلقاته الكلية هي كما سبق: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر.

وأصول الفقه: علم يبحث فيه عن الأدلة السمعية والنظرية من جهة اتصالها إلى الأحكام الشرعية الفرعية¹⁶. وقد قرر معظم المطالب الأصولية على مذهب الحنابلة ولذلك فالرجوع إليه مفيد في بحثنا هذا.

هذه هي التفاسير التي شملتها الدراسة ورجعت أيضا إلى كتب أخرى للحنابلة ذات صلة بالتفسير مثل: شرح مختصر الروضة والإكسير للطوفي ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، والمسودة لآل تيمية و التحبير للمرداوي.

16- انظر: الإشارات الإلهية، الطوفي، ص15.

المبحث الثاني:

القواعد اللغوية التي استعملها مفسرو الحنابلة في تعاملهم مع آيات الصفات

لا بد للمفسر أن يتعمق في دراسة علوم اللغة وأن يحيط بدقائق النحو والبلاغة، لأن الجهل بها سيؤدي إلى الوقوع في اعتقادات باطلة وتفسيرات منحرفة. ويظهر لنا من خلال تفاسير الحنابلة اهتمامهم بدقائق علوم اللغة واستعمالهم لها في التفسير. وقد قسمت هذه القواعد إلى قسمين:

الأول: قواعد منصوص عليها. **والثاني:** قواعد مستنبطة من كلامهم.

المطلب الأول: القواعد اللغوية المنصوص عليها

القاعدة الأولى: غلبة الاستعمال تدل على الحقيقة أو المجاز:

غلبة الاستعمال قد تدل على الحقيقة كما في تفسير: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] قال الطوفي: «فقد أضاف النظر إلى الوجوه، وعن الثاني بأن وضع اللغة أن النظر المقرر بالي يقتضي الرؤية، فإن لم يكن موضوع اللغة فأكثر استعمال العرب عليه نحو قوله: نظرت إلى من حسن الله وجهه... ولأن غلبة استعماله تدل على أنه الحقيقة»¹⁷.

وقد تدل كثرة الاستعمال على المجاز كما في «جنب الله» قال الطوفي: «﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] زعم أبو عبد الله بن حامد أن لله - عز وجل - صفة ذاتية تسمى الجنب، كما قال في اليد والوجه، وهو ضعيف جداً، لغلبة المجاز على هذه الكلمة، إذا يقال: طمع فلان في جنب فلان وجانبه، وخذ هذا الدرهم في جنب الله، فإثبات صفة ذاتية بمثل ذلك لا وجه

17- الإشارات الإلهية، الطوفي، ص 668.



له»¹⁸.

وقد صار معروفا في اللغة استعمال اليدين للتعبير عن النفس قال ابن عادل في تفسير ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢]: «أضيف الفعل في الظاهر إلى الآلة، وهو في الحقيقة مضاف إلى جوهر ذات الإنسان»¹⁹ أي: أن كثرة الاستعمال في ذلك رجحت المجاز على الحقيقة.

قال الرسعني: «قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَّصْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] أي: لما توليت خلقه بنفسي»²⁰. فمع أن الرسعني من أهل الإثبات إلا أنه هنا لا يجد حرجا في تأويل اليدين وذلك لوجود قرينة قوية وهي كثرة استعمال هذا اللفظ في المعنى المجازي. وهكذا فسرها العليمي فقال: «﴿لَمَّا خَلَّصْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] أي: بنفسي من غير توسيط كآب وأم واليدان صفة من صفات الله تعالى - عز وجل - نؤمن بها كما جاءت، ونكل العلم فيها إلى الله»²¹.

القاعدة الثانية: تُقَدَّم الحقيقة على المجاز

نجد هذه القاعدة في منع الحنابلة من تأويل العرش بالملك - كما فعلت المعتزلة - قال ابن الجوزي: «وإجماع السلف منعقد على أن لا يزيدوا على قراءة الآية. وقد شذ قوم فقالوا: العرش بمعنى الملك. وهذا عدول عن الحقيقة إلى التجوز، مع مخالفة الأثر ألم يسمعوا قوله عز وجل: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] أتراه كان الملك على الماء؟»²². وهو ما قاله الرسعني أيضا.²³ وقال الطوفي في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ خَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]: «هذا يمنع من تأويل العرش على الملك على

18- المرجع نفسه، ص 544.

19- اللباب، ابن عادل، ج 9، ص 542.

20- رموز الكنوز، الرسعني، ج 6، ص 517.

21- فتح الرحمن، العليمي، ج 6، ص 46.

22- زاد المسير، ابن الجوزي، ج 2، ص 128.

23- انظر: رموز الكنوز، الرسعني، ج 2، ص 148.

ما زعمه قوم»²⁴.

القاعدة الثالثة: التوكيد بالمصدر والضمير:

التوكيد ينفي احتمال المجاز²⁵. ومن التوكيد التوكيد بالمصدر، وقد استدل به مفسرو الحنابلة في مواضع في آيات الصفات وجدت منها:

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] قال الرسعني: «قال ثعلب: لولا أن الله أكد الفعل بالمصدر لجاز أن يكون كما يقول أحدنا للآخر: قد كلمت فلاناً، بمعنى كتبت إليه رُقعة، وبعثت رسولاً إليه، فلما قال: «تكليماً» لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله تعالى»²⁶.

وقال العليمي: «مصدر معناه التأكيد، يدل على بطلان قول من يقول: خلق بنفسه كلاماً في شجرة، فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون فيه المتكلم متكلماً. وكلام الله تعالى للنبي موسى دون تكييف ولا تحديد، فإنه سبحانه موجود لا كالموجودات، معلوم لا كالمعلومات، فذلك كلامه لا كالكلام»²⁷.

ومن التوكيد: تكرير الضمير وهو يفيد رفع المجاز كما في قوله تعالى: ﴿يُؤَسِّسُ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢] قال الرسعني: «كرر الضمير لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإمالة الشبهة، ومثله: إني أنا النذير المبين»²⁸.

ومن التوكيد: التوكيد اللفظي بالنفس والعين ونحوهما قال العلامة ابن هشام - وهو حنبلي - : «ومثال المقرّر لأمر المتبوع في النسبة «جاء زيد نفسه» فإنه لولا قولك: «نفسه» لجوّز السامع كون الجائي خبره أو كتابه بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾

24- الإشارات الإلهية، الطوفي، ص 446.

25- انظر: مختصر في قواعد التفسير، السبت، ص 16.

26- رموز الكنوز، الرسعني، ج 1، ص 668.

27- فتح الرحمن، العليمي، ج 2، ص 232.

28- رموز الكنوز، الرسعني، ج 4، ص 488.



[الفجر: ٢٢] أي: أمره»²⁹.

القاعدة الرابعة: لا يُصرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل نقلي أو عقلي

صرح بهذه القاعدة الرسعني عند تفسير: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] فقال: «الذي ذكرناه هو المتبادر إلى الأذهان والأفهام عند إطلاق الأيام، وهو الظاهر فيجب المصير إليه ما لم يُصرف عنه دليل نقلي أو عقلي»³⁰.
ولذلك فأكثر الحنابلة يأخذون بظاهر آية ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] ويرون أن المقصود هو الله تعالى. والذي يرجح ذلك هو قول ابن عباس وغيره من السلف قال ابن الجوزي: «(من في السماء) قال ابن عباس: أمنت من عذاب من في السماء، وهو الله عز وجل»³¹.

وانتصر الرسعني أيضا لظاهر الآية ورد على الزمخشري في تأويله الآية ثم قال: «وقد قررنا وأثبتنا صفة العلو لله تعالى في مواضع من هذا الكتاب»³².

ومن مفسري الحنابلة من يجعل هذه الآية من المتشابهة قال العليمي: «(من في السماء) وهذا المحل من المتشابهة الذي استأثر الله بعلمه، نؤمن به ولا نتعرض إلى معناه، ونكل العلم فيه إلى الله»³³.

وأما ابن عادل فرجح جانب التأويل واحتج بأنه ثبت بالدليل القطعي أنه ليس بمتحيز فقال: «فإن» «من» «هنا المراد بها: الملائكة سكان السماء، وهم الذين يتولون الرحمة والنقمة. وقيل: خوطبوا بذلك على

29- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام، ص 551.

30- رموز الكنوز، الرسعني، ج 2، ص 146.

31- زاد المسير، ابن الجوزي، ج 4، ص 316.

32- رموز الكنوز، الرسعني، ج 8، ص 208.

33- فتح الرحمن، العليمي، ج 7، ص 114.

اعتقادهم؛ فإن القوم كانوا مجسمة مشبهة، والذي تقدم أحسن»³⁴.

القاعدة الخامسة: حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه

وهو كثير في القرآن وحذف المضاف مجاز، فمنه قوله: ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الأحزاب: ٢١] أي: رحمة الله، وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] أي: عذاب ربهم، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] أي: أمر ربك³⁵.

وذكر ابن هشام أنه يجوز حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه فقال: «يجوز أن يحذف ما علم من مضاف ومضاف إليه. فإن كان المحذوف المضاف، فالغالب أن يخلفه في إعرابه المضاف إليه؛ نحو: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أي: أمر ربك، ونحو: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: أهل القرية»³⁶.

ومثال ذلك في آيات الصفات قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] قال ابن عادل: «أي: جاء أمره وقضاؤه. قاله الحسن، وهو من باب حذف المضاف»³⁷.

القاعدة السادسة: تقديم ما لا تقدير فيه على ما يحتاج لتقدير:

ذكر ابن القيم هذه القاعدة بقوله: «تقليل الإضمار أولى من تكثيره»³⁸. وذكرها ابن هشام في مغني اللبيب بقوله: «بيان مقدار المقدر، ينبغي تقليله ما أمكن، لتقل مخالفة الأصل»³⁹. وقال: وضعف قول بعضهم في ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] إن التقدير: حب عبادة العجل، والأولى تقدير الحب فقط»⁴⁰.

34- اللباب، ابن عادل، ج 19، ص 248.

35- انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج 3، ص 218.

36- انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، ج 3، ص 144.

37- اللباب، ابن عادل، ج 20، ص 331.

38- قواعد الترجيح عند المفسرين، الحربي، ج 2، ص 97.

39- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ص 802.

40- المرجع نفسه، ص 802.



ومن الأمثلة على استخدام الحنابلة لهذه القاعدة في تفسير آيات الصفات ما ذكره في تفسير: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] فقد رجحوا أن النظر يكون بالرؤية العينية وردوا تفسير مجاهد؛ لأنه يحتاج لتقدير محذوف قال الرسعني: «قال ابن عباس: يريد: إلى الله ناظرة... وقد ذكرتُ طرفاً من ذلك في سورة يونس، وأقمت حجة الله على منكري نظر المؤمنين إلى ربهم في الجنة. وهذا قول عامة المفسرين. ويروى عن ابن عمر⁴¹ ومجاهد: إن المعنى: إلى ثواب ربها ناظرة، على حذف المضاف، والأول هو الصحيح، وإليه ذهب علماء السنة وجمهور الأمة»⁴².

القاعدة السابعة: المعطوف يشترك المعطوف عليه في الإعراب لا في الأحكام

هذه قاعدة ذكرها الطوفي في الإشارات الإلهية عند رده على الفوطي من المعتزلة الذي زعم أن علم الله حادث مستدلاً بقوله: ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦] قال الفوطي: «عطف العلم على التخفيف ثم التخفيف حادث لتقييده بالآن، فكذا ما عطف عليه»⁴³.

والرد عليه كما قرر الطوفي: أن المعطوف إنما يشترك المعطوف عليه وجوباً في الإعراب ونحوه؛ أما في الأحكام العقلية فلا، وإنما معنى الآية: الآن خفف الله عنكم، وقد علم -أي في الأزل- أن فيكم الآن ضعفاً عما كلفتموه فخففه عنكم بالنسخ. غاية ما يلزم منه استعمال الفعل الماضي في موضع الحال بدون قد، وهو مذهب الكوفيين خلافاً للبصريين⁴⁴.

41- قال القرطبي: «حكاه - أي هذا القول - الماوردي عن ابن عمر وعكرمة أيضاً، وليس معروفاً إلا عن مجاهد وحده». انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 19، ص 108.

42- رموز الكنوز، الرسعني، ج 8، ص 390.

43- الإشارات الإلهية، الطوفي، ص 311.

44- انظر: الإشارات الإلهية، الطوفي، ص 311.

القاعدة الثامنة: العطف يقتضي التغير:

ذكر مفسرو الحنابلة هذه القاعدة في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يُؤْمِنُ إِنِّي أَخْطَأْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] قال الزجاج: «لو كان إنما سمع كلام غير الله لما قال: (برسالتني وبكلامي) لأن الملائكة تنزل على الأنبياء عليهم السلام بكلام الله تعالى»⁴⁵.

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] فاحتجوا بأن القرآن ليس بمخلوق؛ لأن القرآن هو الأمر، والأمر غير الخلق، فالقرآن غير الخلق، فالقرآن غير مخلوق، وأما أن الأمر غير الخلق فلعطفه عليه في هذه الآية والعطف يقتضي التغير⁴⁶.

القاعدة التاسعة: لا يجوز أن يخالف بين المفسر والمفسر من غير دليل

ذكر هذه القاعدة ابن القيم في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨] وردَّ على بعض المفسرين القائلين: إن الذي دنا فتدلى، فكان من محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين أو أدنى هو الله عز وجل. قال ابن القيم: «الصحيح: أن ذلك هو جبريل عليه السلام. فهو الموصوف بما ذكر من أول السورة... ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه»⁴⁷ وذكر من هذه الوجوه: «أن مفسر الضمير في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣] وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨] وقوله: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ [النجم: ٧] واحدة. فلا يجوز أن يخالف بين المفسر والمفسر من غير دليل»⁴⁸.

45- معاني القرآن، الزجاج، ج 2، ص 375، وانظر: رموز الكنوز، الرسعني، ج 2، ص 255. زاد المسير، ابن الجوزي، ج 2، ص 153.

46- انظر: الإشارات الإلهية، الطوفي، ص 284.

47- التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، ص 495.

48- المرجع السابق، ص 496.

المطلب الثاني: القواعد اللغوية المستنبطة من كلامهم

القاعدة الأولى: التفريق بين الإضافات والصفات:

ليس في مجرد الإضافة ما يستلزم أن يكون المضاف إلى الله صفة له، بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة ما ليس بصفة له بالاتفاق، كقوله: (بيت الله) و (ناقة الله) و (روح الله) عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم⁴⁹.

وعلى ذلك أمثلة عدة منها:

◀ (جنب الله) قال ابن تيمية: «وأما قولهم: (وجنب) فإنه لا يعرف عالم مشهور عند المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائف المسلمين، أثبتوا لله جنباً نظير جنب الإنسان، وهذا اللفظ جاء في القرآن في قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]

◀ (روح الله) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] ومعنى كونه «روحاً منه»: أنه خلقه، وأوجدته، واخترعه اختراعاً غير منوط بسبب، كسائر ولد آدم، وأضافه إليه إضافة تكريم وتشريف، كما قال عن آدم: ونفخت فيه من روحي⁵⁰.

◀ (نور الله) قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] أي: أضاءت بما أظهر فيها من الحق والعدل. هذا معنى قول الحسن. ويحقق ذلك تمام الآية وختمها بنفي الظلم، وكثيراً ما يستعيرون النور للعدل والظلمة للظلم⁵¹.

القاعدة الثانية: أسلوب المشاكلة

المشاكلة: هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:

49- انظر: الجواب الصحيح، ابن تيمية، ج 4، ص 415.

50- رموز الكنوز، الرسعني، ج 1، ص 671.

51- رموز الكنوز، الرسعني، ج 6، ص 577.

[١١٦] المراد: ولا أعلم ما عندك وعبر بالنفس؛ للمشاكلة ونحو: قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] أي أهملهم، ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته⁵².

وقد جاءت عدة آيات من هذا الباب فسررها مفسرو الحنابلة بأسلوب المشاكلة، ومن ذلك:

◀ قوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] قال الزجاج: «تعلم ما أضمره، ولا أعلم ما عندك علمه، والتأويل: تعلم ما أعلم وأنا لا أعلم ما تعلم»⁵³.

◀ قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] أي: تركوا أمر الله فتركهم من رحمته وتوفيقيه⁵⁴.

◀ والنسيان محال على الله وقال ابن عادل: «وإنما حملنا النسيان على الترك، لأن من نسي شيئاً لم يذكره، فجعل اسم الملزوم كناية عن اللازم، ولأن النسيان ليس في وسع البشر، وهو في حق الله تعالى محال فلا بد من التأويل، وهو ما ذكرنا من الترك؛ لأنهم تركوا أمر الله حتى صاروا كالنسي المنسي، فجازاهم بأن صيرهم كالشيء المنسي، كقوله: {وجزاء سيئة سيئة مثلها}⁵⁵.

◀ قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] فالمكر من الخلق: خبث وخداع، ومن الله عز وجل: المجازاة، فسمي باسم ذلك؛ لأنه مجازاة عليه، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] و﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، لأن مكره مجازاة، ونصر للمؤمنين⁵⁶.

◀ ومن الآيات التي ذكر ابن عادل أنها من باب المشاكلة قوله تعالى: ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ

52- انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي، ص 309.

53- زاد المسير، ابن الجوزي، ج 1، ص 605.

54- انظر: رموز الكنوز، الرسعني، ج 2، ص 539.

55- اللباب، ابن عادل، ج 10، ص 141.

56- انظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ج 1، ص 286.

اللَّهُ [آل عمران: ٥٤]، ﴿وَجَزَوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠] ٥٧.

القاعدة الثالثة: قرائن السياق تساعد في تحديد المعنى

السياق له أهمية كبيرة في تحديد المعنى قال ابن القيم: «السياق يرشد إلى تبين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة. وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره» ٥٨.

وقد اعتمد مفسرو الحنابلة على السياق في تحديد معاني بعض الآيات المشككة ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] يقول ابن عادل: «إن اخترنا تفسير اليد بالقدرة، كان الجواب عن الإشكال المذكور: أن القوم جعلوا قولهم: ﴿يُذِ اللَّهُ مَغْلُوبَةً﴾ [المائدة: ٦٤] كناية عن البخل، فأجيبوا على وفق كلامهم، ف قيل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] أي: ليس الأمر على ما وصفتموه من البخل، بل هو جواد على سبيل الكمال، وأن من أعطى بيده فقد أعطى عطاء على أكمل الوجوه» ٥٩.

وكذلك اعتمد الرسعني على السابق واللاحق في الآية لتحديد المعنى فقال: «فإن قيل: فما وجه مجيء قوله هاهنا: ﴿وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ﴾ [الحجر: ٣٥] بالألف واللام، وفي موضع آخر: ﴿وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ [ص: ٧٨] بالإضافة؟ قلت: لما جاء هناك: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] مضافاً، جاء: ﴿وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ [ص: ٧٨] على المطابقة والمشاكلة. وجاء هاهنا: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢] وسياق الآية على اللام في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [الحجر: ٢٦] وفي قوله: ﴿وَالْبَآنُ﴾ [الحجر: ٢٧] فجاء باللام أيضاً في قوله: ﴿وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ﴾ [الحجر: ٣٥]» ٦٠.

٥٧- انظر: اللباب، ابن عادل، ج ٢، ص ٥٢٧.

٥٨- بدائع الفوائد، ابن القيم، ج ٤، ص ٩.

٥٩- اللباب، ابن عادل، ج ٧، ص ٤٢٩.

٦٠- رموز الكنوز، الرسعني، ج ٣، ص ٦٠٨.

- ويؤكد ابن تيمية أن من أسباب الخطأ في التفسير إهمال السياق فقال: « فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن: تبين له المراد وعرف الهدى والرسالة وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج »⁶¹.

وهو يحتج بدلالة اللغة وبدلالة السياق في مواضع منها: قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَتُحْمَ وَجْهُ اَللّٰهِ﴾ [البقرة: ١١٥] بأن المراد هو القبلة فيقول: «فإني إنما أسلم أن المراد بالوجه هنا القبلة فإن الوجه هو الجهة في لغة العرب يقال: قصدت هذا الوجه وسافرت إلى هذا الوجه أي: إلى هذه الجهة وهذا كثير مشهور فالوجه هو الجهة... والسياق يدل عليه» وقال: «المراد بها قبلة الله فقال: قد تأولها مجاهد والشافعي وهما من السلف»⁶².

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهٖ نَفْسُهُ وَنَحْنُ اَقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِ﴾ [ق: ١٦] قال ابن تيمية: «فذكر لفظ العلم هنا دل على القرب بالعلم... فالآية لا تحتاج إلى تأويل القرب في حق الله تعالى إلا على هذا القول وحينئذ فالسياق دل عليه»⁶³.

القاعدة الرابعة: مفهوم المخالفة حجة في الصفات بشروط

مفهوم المخالفة هو دلالة تخصيص شيء بحكم يدل على نفيه عما عداه⁶⁴. وهو حجة عند جمهور الفقهاء والمتكلمين⁶⁵. وقد اتفق جمهور أهل السنة على الاحتجاج به في قوله تعالى: ﴿كَلَّا اِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَّحْجُوْبُوْنَ﴾ [المطففين: ١٥] قال الزجاج: «وفي هذه الآية دليل على أن الله يرى في الآخرة، لولا ذلك لما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحببون عن الله عز وجل»⁶⁶.

61- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج 15، ص 94.

62- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج 6، ص 16.

63- المرجع نفسه، ج 6، ص 20.

64- انظر: شرح مختصر الروضة، الطوفي، ج 2، ص 724.

65- المرجع السابق، ج 2، ص 725.

66- معاني القرآن، الزجاج، ج 5، ص 299.



وقال الطوفي: «يحتج بمنطوقه على أن الكفار لا يرون الله - عز وجل - ومقتضى حجبهم عنه، وبمفهومه على أن المؤمنين يرونه»⁶⁷.
فجمهور المفسرين ومنهم الحنابلة يأخذون بمفهوم المخالفة بشرط أن لا يعارض المنطوق.

لكن قد يستدل بعض الناس بمفهوم المخالفة فيثبت لله صفات غير صحيحة كما في قوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطُّشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥] قال ابن عادل: «قالت المجسمة: إنها عضو جسماني كما في حق كل أحد، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطُّشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٥] ذكر ذلك قد جاء في إلهية الأصنام، لأجل أنه ليس لها شيء من هذه الأعضاء، فلو لم يحصل لله هذه لزم القدح في كونه إلهًا، فلما بطل ذلك، وجب إثبات هذه الأعضاء له، قالوا: واسم اليد موضوع لهذا العضو، فحمله على شيء آخر ترك للغة، وإنه لا يجوز»⁶⁸.

وليس المراد من الآية إثبات أن الله أفضل من الأصنام إذ يتصف بهذه الصفات بل إثبات أن البشر أفضل من الأصنام قال ابن الجوزي: «وفي هذا تنبيه على تفضيل العابدين على المعبودين، وتوبيخ لهم حيث عبدوا من هم أفضل منه»⁶⁹. وقال الرسعني: «ثم إن الله تعالى بين نقصان الآلهة بالنسبة إلى عابديها توبيخاً لهم، وتضليلاً لأرائهم، وتجهيلاً لأحلامهم؛ فذلك قوله: (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ... الآية)، المعنى: فكيف عبدتموها وأنتم أفضل منها بالأرجل الماشية، والأيدي الباطشة، والأعين الباصرة، والآذان السامعة»⁷⁰.

67- الإشارات الإلهية، الطوفي، ص 679.

68- الباب، ابن عادل، ج 7، ص 428.

69- زاد المسير، ابن عادل، ج 2، ص 180.

70- رموز الكنوز، الرسعني، ج 2، ص 342.

القاعدة الخامسة: أهمية الإعراب في توجيه المعنى

وضح علماء العربية العلاقة بين الإعراب والمعنى، قال ابن جني: «باب القول على الإعراب: هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه وشكر سعيداً أبوه علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان الكلام سرجاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه»⁷¹. وقد ذكروا أن المعنى يتغير بتغير الإعراب قال السكاكي: «إنَّ كلَّ واحد من وجوه الإعراب دالٌّ على معنى، كما تشهد لذلك قوانين علم النُّحو»⁷². ويظهر فائدة الإعراب في توجيه المعنى في مواضع في تفاسير الحنابلة لآيات الصفات منها:

1. في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] فشبه الجملة «من فوقهم» تتعلق بـ «ربهم» على معنى: يخافونه عالياً عليهم، قاهراً لهم، كما قال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]. ويجوز أن يكون متعلقاً بـ «يخافون»، على معنى: يخافونه أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم⁷³.
2. في قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] قال الرسعني: «قال ابن عباس: بمرأى منا. وقال الربيع: بحفظنا. وهو في محل الحال، بمعنى: اصنعها مدفوظاً آمناً من أعدائك»⁷⁴.
3. في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فكلمة محدث متعلقة بالإتيان لا بالقرآن، قال الرسعني: «﴿مُحَدَّثٍ﴾ أي: محدث النزول، فإن القرآن نزل آية بعد آية، وسورة بعد سورة»⁷⁵. وقال العليمي: «محدث التنزيل، لانفس القرآن»⁷⁶.

71- الخصائص، ابن جني، ج 1، ص 35.

72- مفتاح العلوم، السكاكي، ص 251.

73- انظر: رموز الكنوز، الرسعني، ج 4، ص 39.

74- رموز الكنوز، الرسعني، ج 3، ص 152.

75- رموز الكنوز، الرسعني، ج 4، ص 590.

76- فتح الرحمن، العليمي، ج 4، ص 341.

القاعدة السادسة: الاعتماد على علم الاشتقاق في توجيه المعنى

الاشتقاق: من أشرف علوم العربية، وأدقها وأنفعها، وأكثرها رداً إلى أبوابها، وعليه مدار علم التصريف في معرفة الزائد من الأصلي، ولو جمدت المصادر وارتفع الاشتقاق من الكلام، لم توجد صفة لموصوف، ولا فعل لفاعل.

والاشتقاق في الاصطلاح هو: رد لفظ إلى لفظ آخر؛ لموافقته له في حروفه الأصلية، ومناسبته له في المعنى⁷⁷. ويتضح اعتماد مفسري الحنابلة على هذا العلم في تفسير آيات الصفات في أمثلة منها:

◀ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَضْفَدُ﴾ [الإخلاص: ٢]. هل الدال مبدلة عن تاء؟ وهل الصمد من المصمت فيكون المعنى: أنه الذي لا جوف له أم من المصمود له الناس؟

قال الرسعني: «قال بعض المفسرين: الصمد: الذي يُضَفَدُ إليه في الحوائج... وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك والسدي: الضَّفَد: الذي لا جوف له. قال ابن قتيبة: كأن الدال في هذا التفسير مبدلة عن تاء»⁷⁸.

وقد اعتمد ابن تيمية على الاشتقاق في ترجيحاته فقال في تفسير (الصمد): «الاشتقاق يشهد للقولين جمعا قول من قال: إن (الصمد) الذي لا جوف له وقول من قال: إنه السيد وهو على الأول أدل فإن الأول أصل للثاني ولفظ الصمد يقال على ما لا جوف له في اللغة قال يحيى بن أبي كثير الملائكة صمد والآدميون جوف»⁷⁹ ثم قال: «على هذا فإذا قيل: الصمد بمعنى المصمت وأنه مشتق منه بهذا الاعتبار فهو صحيح فإن الدال أخت التاء»⁸⁰.

◀ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] هل العلي صفة أم مصدر؟ قال ابن الجوزي: «العلي: العالي القاهر: فعيل بمعنى فاعل قال الخطابي: وقد يكون من العلو الذي هو مصدر: علا

77- انظر: التحبير، المرداوي، ج 2، ص 544.

78- انظر: معاني القرآن، الزجاج، ج 5، ص 377، رموز الكنوز، الرسعني، ج 8، ص 770.

79- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج 17، ص 214.

80- المرجع السابق ج 17، ص 214. ويقصد أنه من الاشتقاق الأكبر كما وضع بعد ذلك.

يعلو، فهو عال كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]، ويكون ذلك من علاء المجد والشرف»⁸¹.

القاعدة السابعة: قبول التفسير اللغوي للسلف

ممن نص على هذه القاعدة الدكتور مساعد الطيار في كتابه «التفسير اللغوي» فقال: «إن ما ورد عن هؤلاء السلف الكرام من تفسير ألفاظ القرآن أو فهمهم له فإنه جارٍ على لغة العرب وهو حجة يجب الاحتكام إليه ولا يصح رده ولا الاعتراض عليه»⁸². وقال العلامة النحوي ابن الأنباري - وهو حنبلي - : «وجاء عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتابعيهم رضوان الله عليهم، من الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله باللغة والشعر ما بين صحة مذهب النحويين في ذلك»⁸³ لكن ينبغي أن تُضبط هذه القاعدة بضوابط منها :

الأول: أن لا يكون التابعي معروفا بنقله عن أهل الكتاب قال د. نور الدين عتر: «أما التابعون: فقد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب وكثرت في عهدهم الروايات الإسرائيلية لكثرة من دخل منهم في الإسلام، فظهرت في هذا العهد جماعة حشوا التفسير بكثير من القصص المتناقضة كمقاتل بن سليمان. وهكذا تزايد أمر الإسرائيليات حتى كان جماعة بعد عصر التابعين لا يردون قولاً، ثم في عصر التدوين وجد من المفسرين من حشوا كتبهم بهذه القصص الإسرائيلية؟»⁸⁴.

الثاني: أنه ليس كل ما يصح في اللغة يصح في التفسير فقد ذكرت سابقاً رفض مفسري الحنابلة لتفسير استوى بـ (استولى) و (استقر). ورفضهم لتأويل مجاهد: النظر بانتظار الثواب، مع أنه من أئمة التابعين.

81- انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج 1، ص 230.

82- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، الطيار، ص 563. وكرر هذه القاعدة في الصفحات: 613، 678.

83- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 1، ص 24.

84- علوم القرآن الكريم، عتر، ص 75.



الثالث: أن قول التابعي ليس حجة في التفسير فمن باب أولى من بعده.

ومن أمثلة التفسير اللغوي للسلف التي قبلها مفسرو الحنابلة في آيات الصفات:

◀ قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] قال قتادة: ليتغذى على محبتي وإرادتي. قال أبو عبيدة: على ما أريد وأحب. قال ابن الأنباري: هو من قول العرب: غذي فلان على عيني، أي: على المحبة مني.⁸⁵

وقال الرسعني بعد نقله قول قتادة السابق: «قال ابن الأنباري: العين في هذه الآية يقصد بها قصد الإرادة والاختيار، من قول العرب: غُذِيَ فلان على عيني، أي: على المحبة مني»⁸⁶.

◀ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] نقلوا عن ابن عباس: يوم يكشف عن ساق قال: يكشف عن شدة، وأنشدوا: وقامت الحرب بنا على ساق وهذا قول مجاهد، وقتادة⁸⁷.

ونقل ابن الجوزي تفسيراً آخر للآية اعتماداً على التفسير اللغوي للسلف فقال: «قال أبو عمر الزاهد - وهو حنبلي - الساق: يراد بها النفس، ومنه قول علي رضي الله عنه: أقاتلهم ولو تلفت ساقِي، أي: نفسي، فعلى هذا يكون المعنى: يتجلى لهم»⁸⁸.

ومن طريقة مفسري الحنابلة أنهم ينقلون تفسيرات السلف اللغوية دون رد أو تعقيب إذا كانت موافقةً لمنهجهم وأصولهم. فمن أمثلة ذلك في آيات الصفات ما أورده ابن الجوزي و الرسعني في تفسير: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] عن ابن عباس: يد الله بما وعدهم من الخير فوق أيديهم بالوفاء. وعن السدي: يد الله فوق أيديهم عند المبايعة. وعن ابن السائب: نعمة الله. وعن ابن كيسان: قوة الله

85- انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج 3، ص 158.

86- رموز الكنوز، الرسعني، ج 4، ص 506.

87- انظر: معاني القرآن، الزجاج، ج 5، ص 210. زاد المسير، ابن الجوزي، ج 4، ص 326.

88- زاد المسير، ابن الجوزي، ج 4، ص 326.

ونصرته⁸⁹. ولم يردًا شيئًا من ذلك.

القاعدة الثامنة: جواز التأويل بشروط وقرائن

التأويل لغة: من (أول) وهو أصل يدل على: ابتداء الأمر، وانتهائوه⁹⁰. واصطلاحًا: هو صرف اللفظ عن ظاهره لدليل يصير به المرجوح راجحًا⁹¹. واشترطوا أن يكون بدليل وإلا كان تأويلا فاسدا. وقد يسمى التفسير تأويلا قال ابن عادل: «قد يسمى التفسير تأويلا قال تعالى: ﴿سَأُتْبِئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]، وقال: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وذلك لأنه إخبار عما يرجع إليه اللفظ من المعنى»⁹².

ويرى ابن عادل أن المذموم هو اتباع التأويل بلا دليل فقال: «والمراد منه: أنهم يطلبون التأويل الذي ليس عليه دليل من كتاب الله تعالى ولا بيان، كطلبهم أن الساعة متى تقوم؟»⁹³

فلا بد في صرف اللفظ عن ظاهره من دليل قال الطوفي: «والغرض من دليل التأويل أن يكون بحيث إذا انضم إلى احتمال اللفظ المؤول اعتضد أحدهما بالآخر، واستوليا على الظاهر، وقُدِّما عليه»⁹⁴.

وقرينة التأويل التي يقوى به الاحتمال المرجوح أنواع، فقد تكون قرينته متصلة بالظاهر، أو منفصلة، وقد يكون ظاهرا آخر، أو نصا يوافق الاحتمال المرجوح، وقد يكون قياسا، لأن هذه كلها أدلة تصلح للترجيح، إذ مقصوده حاصل بها⁹⁵.

وقد وضع الطوفي طرق التأويل حين بين طريقة اجتهد المفسر في التفسير، وهي:

89- انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج4، ص 130، رموز الكنوز، الرسعني، ج 7، ص 297.

90- انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج 1، ص 158 - 162.

91- شرح مختصر الروضة، الطوفي، ج 1، ص 558. التحبير، المرداوي، ج 6، ص 2849.

92- اللباب، ابن عادل، ج 5، ص 38. وانظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج 1، ص 260.

93- اللباب، ابن عادل، ج 5، ص 38.

94- شرح مختصر الروضة، الطوفي، ج 1، ص 564.

95- انظر: شرح مختصر الروضة، الطوفي، ج 1، ص 565.

1. الاستنباط من اللغة تارة.

2. ومن السنة تارة ثانية.

3. ومن نظير الآية المطلوب تفسيرها

4. ومن مدارك آخر رآها صالحة لأخذ التفسير منها: كالتاريخ، وأيام الأمم الخالية، والقضايا الإسرائيلية ونحوها⁹⁶.

فقد بين لنا الطوفي أن الخلاف في قبول التأويل هو بحسب قوة القرائن، والمطلع على تفاسير الحنابلة يرى أنهم يقولون بالتأويل في آيات الصفات ولكن بشرط قوة القرينة الصارفة.

ومن القرائن التي تقوي التأويل في تفاسير الحنابلة لآيات الصفات:

أ. الاستدلال بآية أخرى: إن أصح الطرق في التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختُصِرَ من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر⁹⁷.

وعليه أمثلة كثيرة من تفاسير الحنابلة لآيات الصفات، منها:

◀ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١] استدل الرسعني على تأويلها بآية أخرى فقال: «أي: عملناه بغير واسطة ولا شراكة. وهذا معنى قول السدي. قال الحسن: الأيدي: القوة، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]»⁹⁸

◀ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] استدل الزجاج على تأويلها بآية أخرى فقال: «المعنى إذا قال قائل: أين الله؟ فالله عز وجل قريب لا يخلو منه مكان كما قال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] وكما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]»⁹⁹

◀ قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] قال

96- انظر: الإكسير في علم التفسير، الطوفي، ص 4.

97- انظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص 39.

98- رموز الكنوز، الرسعني، ج 6، ص 361.

99- معاني القرآن، الزجاج، ج 1، ص 254.

الرسعني: «على معنى: يخافونه عالياً عليهم، قاهراً لهم، كما قال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]¹⁰⁰. وقال العليمي: «أي: غالباً قاهراً لهم؛ كقوله: ﴿يُذِلُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] ... أو يخافون أن يأتيهم العذاب من فوقهم إن عصوه»¹⁰¹.

◀ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] قال العليمي: «وهو القاهر فوق عباده: القادر الغالب، والمراد بفوق: علو القدرة والشأن؛ كقوله: ﴿وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]¹⁰².

ب. الاستدلال بحديث نبوي: قال أحمد: «السنة تفسر القرآن وتبينه»¹⁰³.

وقد بين ابن تيمية أهمية الرجوع إلى السنة في التفسير فقال: «إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن..»¹⁰⁴.

ومن أمثلة ذلك في تفسير آيات الصفات:

◀ قوله تعالى: الآية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]

روى الرسعني عن النبي حديثاً قال فيه: «فذكر السموات السبع والعرش والأرضين السبع، وأن بين كل جرمين مسيرة خمسمائة عام. ثم قال: والذي نفسي بيده لو دليتكم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله، ثم قرأ هذه الآية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]¹⁰⁵ ثم قال الرسعني: «ومعنى: لهبط على الله» أي على علمه وقدرته وخلقه وملكه»¹⁰⁶.

100- رموز الكنوز، الرسعني، ج 4، ص 39.

101- فتح الرحمن، العليمي، ج 4، ص 29.

102- فتح الرحمن، العليمي، ج 2، ص 379.

103- التحبير، المرداوي، ج 8، ص 4207.

104- مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص 40.

105- أخرجه الترمذي في السنن، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحديد، ج 5، ص 326، برقم 3298. قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

106- رموز الكنوز، الرسعني، ج 7، ص 631.

ج. الاستدلال بقول صحابي: مذهب الحنابلة لزوم الرجوع إلى تفسير الصحابي للقرآن؛ لأن الصحابة شاهدوا التنزيل وحضروا التأويل. قال البهوتي: «ويلزم الرجوع لتفسير صحابي؛ لأنهم شاهدوا التنزيل، وحضروا التأويل، فهو أمانة ظاهرة... وإذا قال الصحابي ما يخالف القياس، فهو توقيف منه على النبي - صلى الله عليه وسلم - فيجب العمل به؛ لأنه لا يمكن أن يكون عن اجتهاد، فهو في حكم المرفوع»¹⁰⁷.

ومن أمثلة ذلك في تفسير آيات الصفات:

- ▶ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] استدلال الحنابلة بتفسير ابن عباس قال الرسعني: «سئل ابن عباس عن قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر؛ فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر: «وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ» هو يوم كرب وشدة. وهذا قول كثير من المفسرين واللغويين»¹⁰⁸. وروى الزجاج هذا التفسير عن عبد الله بن أحمد عن أبيه بإسناده إلى ابن عباس¹⁰⁹.
- ▶ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمُتَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥] فيه قولان: أحدهما: فتم الله، يريد: علمه معكم أين كنتم. وهذا قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: فتم قبلة الله، قاله عكرمة، ومجاهد.¹¹⁰
- ▶ قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وفي المراد بالكرسي ثلاثة أقوال:
أحدها: أنه كرسي فوق السماء السابعة دون العرش. وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء.

107- كشف القناع عن الإقناع، البهوتي، ج 3، ص 80.

108- رموز الكنوز، الرسعني، ج 8، ص 239.

109- معاني القرآن، الزجاج، ج 5، ص 210.

110- زاد المسير، ابن الجوزي، ج 1، ص 104.

والثاني: أن المراد بالكرسي علم الله، رواه ابن جبير عن ابن عباس¹¹¹.
والثالث: أن الكرسي هو العرش، قاله الحسن¹¹².

د. الاستدلال بقول تابعي:

قول التابعي ليس حجة عند الحنابلة لا في الفقه ولا في التفسير لكن إذا فسر القرآن باللغة صار حجة قال البهوتي في كشف القناع: «ولا يلزم الرجوع لتفسير تابعي؛ لأن قوله ليس بحجة على المشهور... إلا أن ينقل ذلك عن العرب»¹¹³. وهو ما قرره ابن تيمية أيضا فقال: «وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة؛ فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك»¹¹⁴.

ولا يعني ذلك رفض كل ما روي عن التابعين من التفسير فإنهم تلاميذ الصحابة وعندهم أخذوا علوم القرآن. فقد يكون تفسير التابعين مما أخذوه عن الصحابة أو من التفسير باللغة. ومن ذلك ما نقله الربيعي وابن عادل في تفسير: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] عن الحسن والضحاك: يأتي أمره¹¹⁵. وهو المروي عن الإمام أحمد قال ابن الجوزي: «قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] كان جماعة من السلف يمسكون عن الكلام في مثل هذا. وقد ذكر القاضي أبو يعلى عن أحمد أنه قال: المراد به: قدرته وأمره»¹¹⁶.

111- وروى البخاري عن ابن جبير قال: ﴿كرسيه﴾ : علمه. انظر: صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، سورة البقرة، باب قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ زُكْبَانًا﴾ [البقرة: 239]، ج 6، ص 30.

112- انظر هذه الأقوال: زاد المسير، ابن الجوزي، ج 1، ص 229.

113- كشف القناع، البهوتي، ج 3، ص 80.

114- مقدمة في أصول التفسير، البهوتي، ص 45 - 46.

115- رموز الكنوز، الرسعني، ج 2، ص 55. اللباب، ابن عادل، ج 8، ص 525.

116- زاد المسير، ابن الجوزي، ج 1، ص 174.

هـ. الاستدلال بالإجماع أو بجمهور المفسرين :

فمن الاستدلال بالإجماع ما قاله الطوفي: «إذ لا إجماع إلا عن مستند، ولقيام الدليل على عصمة الأمة من أن تجمع على خطأ، ومثال ذلك تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿وَلَا خُفْسَةٌ لِلَّهِ هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] ونحوه، على أنه كذلك بعلمه لا بد أنه -والإجماع على هذا التأويل- مستند إلى العقل القاطع باستحالة التجزئة، والتبعض والحلول عليه تعالى»¹¹⁷.

ومن أمثلة الاستدلال بجمهور المفسرين:

▶ قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١] قال ابن عباس وأنس والحسن وعكرمة وجمهور المفسرين: رأى محمد - صلى الله عليه وسلم - ربه بعيني رأسه¹¹⁸.

▶ قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمُوتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥]

والمعنى: تكاد السموات يتفطرن من عظمة الله تعالى وعلو شأنه. وقال الرسعني: «واستدل الزجاج على صحة هذا المعنى بقوله تعالى: {وهو العلي العظيم} وهذا معنى قول الضحاك وجمهور المفسرين»¹¹⁹.

▶ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] نقل مفسرو الحنابلة عن ابن عباس تفسيره بالشدة واستدل عليه الرسعني أيضا بأنه قول الجمهور فقال: «وهذا قول كثير من المفسرين واللغويين... وقال: اعلم أنني سلكت في تفسير هذا الحرف سبيل كثير من علماء السنة، وسوّغ ذلك: أن ابن عباس والحسن في جماعة من التابعين فسّروه بهذا التفسير، ونقله الإمام أحمد ورواه»¹²⁰.

117- الإكسير، الطوفي، ص 6.

118- رموز الكنوز، الرسعني، ج 7، ص 470.

119- رموز الكنوز، الرسعني، ج 7، ص 51.

120- رموز الكنوز، الرسعني، ج 8، ص 240.

و. الاستدلال بدليل العقل:

العقل له دور في ترجيح تأويل على آخر في الصفات بشرط ألا يخالف النصوص والإجماع وقد أشار إلى ذلك مفسرو الحنابلة، وذكر الطوفي أن أدلة العقل هي الطريقة الكلامية التي استخدمها إبراهيم عليه السلام مع قومه فقال في الإشارات الإلهية: «وهو إنما كان يناظرهم على التوحيد؛ واحتجابه عليهم إنما كان بدليل العقل، إذ لم يكن هناك سمع يلزمهم، وأدلة العقل هي الطريقة الكلامية، وفي هذا شرف عظيم للكلام وأهله، إذ جعل الله الكلام حجة له أضافها إليه، وجعل صدورها عنه بقوله - عز وجل - ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾ [الأنعام: ٨٣] فيه إشارة إلى ارتفاع درجة المتكلمين عند الله عز وجل كما رفع درجة إبراهيم على قومه بالحجة البالغة الغالبة...»¹²¹ وقال في الإكسير بأن الدليل العقلي القاطع مقدم على الظاهر المحتمل قال: «أما العقلي القاطع والتواتر، فلإفادتهما العلم القاطع، فلا يعارضه الظاهر المحتمل ولذلك قدمناهما»¹²².

وهذا الرسعني يرد تفسير بعض السلف بالاستقرار؛ لأن هذا القول لا يساعد عليه دليل العقل فقال: «وأما قول الذين قالوا أنه بمعنى: استقرار، فنقول لهم: ما معنى الاستقرار هاهنا؟ فإن فسّره بالمعنى المتبادر إلى الأفهام، فلا يخفى ما في ذلك من المحذور، حيث أثبتوا لله صفة لم ينطق بها كتاب ولا سنة، ولم يساعد عليها دليل العقل، وإن لم يُفسّروه بالمعنى المتبادر إلى الأفهام، فلا يخلو: إما أن يفسّروا الاستقرار بشيء معلوم أو لا، وإن فسّروه بشيء معلوم ورّد عليهم من الكلام ما ورد عليهم في تفسير الاستقرار بالمعنى المتبادر إلى الأفهام من كونهم أثبتوا لله صفة من غير كتاب ولا سنة، وإن لم يفسّروه بشيء فليقتصروا أولاً على تلاوة الآية، والإيمان بالاستواء على المعنى الذي أراده الله كما قلنا»¹²³.

وقد ردّ الطوفي أيضاً تفسير ابن حامد الاستواء بالاستقرار، قال

121- الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، الطوفي، ص 254.

122- الإكسير، الطوفي، ص 6.

123- رموز الكنوز، الرسعني، ج 2، ص 150.

الطوفي: «وقد رُذِّ عليه ذلك لاستلزامه التجسيم»¹²⁴.
هذه هي القرائن التي يستدل بها الحنابلة وكثير من أهل السنة في
تقوية تأويل بعض آيات الصفات وهي تعتبر ركائز أساسية منهجية
في تعاملهم مع هذا الباب.

الخاتمة

أحمد الله أن يسر لي إتمام هذا البحث ، وقد توصلتُ فيه إلى عدة
نتائج وتوصيات هي:

أبرز النتائج:

1. اعتمد مفسرو الحنابلة على قواعد لغوية كثيرة تبين منهجهم في
باب الصفات.
2. وافق مفسرو الحنابلة جمهور المفسرين على وقوع المجاز في
القرآن وجواز التأويل بشروط.
3. نص مفسرو الحنابلة على أن تأويل الصفات لا بد فيه من قرائن
مثل: الاستدلال بآية أو حديث أو قول صحابي أو جمهور المفسرين
أو دليل العقل.
4. أجاز مفسرو الحنابلة تأويل آيات كثيرة في الصفات كتأويل اليد
والعين والوجه والساق.
5. امتنع مفسرو الحنابلة من تأويل بعض الآيات من مثل: ﴿ثُمَّ
أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فلم يروا صحة تأويل الاستواء
بالاستيلاء أو بالاستقرار.
6. رجع جمهور الحنابلة التفويض في المشكل من آيات الصفات

124- الإشارات الإلهية، الطوفي، ص 451. ولا يبتعد ابن القيم عن جمهور الحنابلة في كلامه عن الاستواء
فنراه ينزه الله عن الحصر والإحاطة والحاجة إلى خلقه فيقول: «واستواؤه وعلوه على عرشه سلام من أن
يكون محتاجاً إلى ما يحمله أو يستوي عليه، بل العرش محتاج إليه وحملته محتاجون إليه فهو الغني
عن العرش وعن حملته وعن كل ما سواه، فهو استواء وعلو لا يشوبه حصر ولا حاجة إلى عرش ولا غيره ولا
إحاطة شيء به سبحانه وتعالى، بل كان سبحانه ولا عرش ولم يكن به حاجة إليه وهو الغني الحميد،
بل استواؤه على عرشه واستيلاؤه على خلقه من موجبات ملكه وقهره من غير حاجة إلى عرض ولا غيره
بوجه ما» بدائع الفوائد، ابن القيم، ج 2، ص 136.

وقاعدتهم في ذلك: الإقرار والإمرار من غير تأويل لها إلا بدليل قوي .

7. اختلف مفسرو الحنابلة في آيات قليلة من الصفات منها: ﴿عَآمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] ، فرأى ابن الجوزي والرسعني أنها على ظاهرها بلا تأويل، بينما رجع العلّيمي أنها من المتشابه فلا يبحث عن معناها. ورجح ابن عادل التأويل.

8. يؤكد الحنابلة على أهمية علوم اللغة كمعرفة الاشتقاق والإعراب والسياق في توجيه المعنى.

أبرز التوصيات:

1. الكشف عن منهجية مفسر ما أو مذهب ما لا بد أن يكون بالبحث في المنهج اللغوي له. أي لا بد على الباحث أن يجمع القواعد اللغوية الواردة في كتب التفسير وعلوم اللغة.

2. أوصي الباحثين أن يبحثوا في مجالات ذات علاقة بالبحث مثل: المنهج اللغوي في تفسير آيات الأحكام أو الصفات عند الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو المعتزلة.

3. أوصي الباحثين أن يقربوا وجهات النظر بين الاتجاهات السنية المختلفة وتقليل مساحة الخلاف ما أمكن في التفسير والعقيدة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قائمة المصادر والمراجع مرتبة هجائياً

- البخاري، محمد بن إسماعيل. (٤٢٢هـ). صحيح البخاري. (ط١). بيروت: دار طوق النجاة.
- ابن بدران، عبد القادر بن أحمد. (٤٠١هـ). المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل. (ط ٢). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- البهوتي، منصور بن يونس. (٢٠٠٠م - ٢٠٠٨م). كشف القناع عن الإقناع. (ط١). الرياض: وزارة العدل في المملكة العربية السعودية.
- الترمذي، محمد بن عيسى. (١٩٩٦م). الجامع الكبير - سنن الترمذي. (ط١). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- ابن تيمية، مجد الدين وشهاب الدين وتقي الدين. المسودة في أصول الفقه. القاهرة: مطبعة المدني.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٩٨٠م). مقدمة في أصول التفسير. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (٢٠٠٤م). مجموع الفتاوى. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- الجرجاني، علي بن محمد. (١٩٨٣م). التعريفات. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (د.ت). الخصائص. (ط ٤). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. (٤٢٢هـ). زاد المسير في علم التفسير. (ط١). بيروت: دار الكتاب العربي.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. (١٩٨٧م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. (ط ٤). بيروت: دار العلم للملايين.
- الحربي، حسين بن علي. (٢٠٠٨م). قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية. (ط ٢). السعودية: دار القاسم.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله. (١٩٩٣م). معجم الأدباء. (ط١). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- ابن حميد، محمد بن عبد الله. (١٩٩٦م). السحب الوابلة على ضرائح

- الحنابلة. (ط ١). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الذهبي، محمد بن أحمد. (١٩٨٥م). سير أعلام النبلاء. (ط ٣). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الرسعني، عبد الرزاق بن رزق الله. (٢٠٠٨م). رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز. (ط ١). مكة: مكتبة الأسد.
- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد. (٢٠٠٥م). الذيل على طبقات الحنابلة. (ط ١). الرياض: مكتبة العبيكان.
- الزجاج، إبراهيم بن السري. (١٩٨٨م). معاني القرآن وإعرابه. (ط ١). بيروت: عالم الكتب.
- الزركشي، محمد بن عبد الله. (١٩٥٧م). البرهان في علوم القرآن. (ط ١). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- السبب، خالد بن عثمان. (٢٠٠٥م). مختصر في قواعد التفسير. (ط ١). دمشق: دار ابن القيم - دار ابن عفان.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر. (١٩٨٧م). مفتاح العلوم. (ط ٢). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الطيار، مساعد بن سليمان. (١٤٣٢هـ). التفسير اللغوي للقرآن الكريم. (ط ١). الرياض: دار ابن الجوزي.
- الطوفي، سليمان بن عبد القوي. (١٩٨٧م). شرح مختصر الروضة. (ط ١). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الطوفي، سليمان بن عبد القوي. الإكسير في علم التفسير. القاهرة: مكتبة الآداب.
- الطوفي، سليمان بن عبد القوي. (٢٠٠٥م). الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية. (ط ١). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن عادل، عمر بن علي. (١٩٩٨م). اللباب في علوم الكتاب. (ط ١). بيروت: دار الكتب العلمية.
- عتر، نور الدين محمد. (١٩٩٣م). علوم القرآن الكريم. (ط ١). دمشق: مطبعة الصباح.
- العليمي، مجير الدين بن محمد. (٢٠٠٩م). فتح الرحمن في تفسير القرآن. (ط ١). دمشق: دار النوادر.

- ابن فارس، أحمد بن فارس. (١٩٦٩م - ١٩٧٢م). معجم مقاييس اللغة. (ط ٢). مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- القرطبي، محمد بن أحمد. (١٩٦٤م). الجامع لأحكام القرآن. (ط ٢). القاهرة: دار الكتب المصرية.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد. (١٤١٠هـ). التفسير القيم. (ط ١). المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد. (د.ت). بدائع الفوائد. بيروت: دار الكتاب العربي.
- كحالة، عمر رضا. (١٩٥٧م - ١٩٦١م). معجم المؤلفين. دمشق: المكتبة العربية.
- المرداوي، علي بن سليمان. (٢٠٠٠م). التعبير شرح التحرير في أصول الفقه. (ط ١). الرياض: مكتبة الرشد.
- ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن مفلح (١٩٩٠ م)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، المحقق: د.عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. (ط ١). الرياض: مكتبة الرشد.
- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. بيروت: المكتبة العصرية.
- ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف. (٢٠٠٠م). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. سوريا: الشركة المتحدة للتوزيع.
- ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف. (١٩٨٥م). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. (ط ٦). دمشق: دار الفكر.
- Hamzeh,A,(2023), The Jurisprudential and Procedural Differences between Murabah and Rent-to-own Financing – Deductive and Analytical Study) INTERNATIONAL MINNESOTA JOURNAL OF ACADEMIC STUDIES,



(VOL,1),(ISSUE,1), PP:62-31.



الجامعة الإسلامية بنيسوتا

Islamic University of Minnesota

المركز الرئيسي IUM